الاحجار الكريمة ودلالاتها في الشعر الفارسي ديوان حافظ شيرازي أنموذجا

م . د . ثائر فضل عيسى

الكلمات المفتاحية: حافظ شيرازي، غزل، الاحجار الكريمة، الدلالات الشعرية

المقدمة

أن مصطلح الأحجار الكريمة له أكثر من دلالة معنوية في اللغة الفارسية، ولكن يعني لغةً :(سنگهای قیمتی)، أي بمعنى الحجر الثمين او القيم. وتُعد دراسة الاحجار الكريمة في ميدان الشعر من الأمور الشاقة؛ لقلة المصادر والدارسات التي تناولتها بالبحث والتقصي. وما دفع الباحث وحفزه للخوض في هذا المجال هو قلة الابحاث التي مقدساً وتعتقد هذه الفئة أن خلق الاحجار الكريمة قد سحر بجماله النظر ولم يتدخل الانسان بصناعته اذ انه يتكون بصورة طبيعية ، والفئة الأخرى يتوسم بها الجمال والصفاء والنقاء والصلابة والشجاعة وغيرها من الصفات الحسنة . وقد وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع الموسوم " الأحجار الكريمة ودلالاتها الشعرية في ديوان حافظ شيرازي " لأهميته وقلة طرحه على حد علمي وإطلاعي . تطرقت الى هذا الموضوع في المحافل الادبية على حد علمه ، اذ لم يجد دراسة تشفي غليل العطش العلمي عن موضوع الأحجار الكريمة ودلالاتها في الشعر الفارسي بحسب اطلاعه وبحثه في السنوات الماضية.

لقد تناول الشعر الفارسي الاحجار الكريمة بوصفها كائن يأسر الانظار، بمختلف ادواره ومراحله الادبية لما لها من اهمية ومكانة لدى الناس بصورة عامة وأصحاب السلطة والملك بصورة خاصة ولدى دراستي لما كتب من القليل عن هذا الموضوع لاحظت اخلاف نظرة الناس لها كلا حسب اعتقاده وكان ابرز الاعتقادات بالأحجار الكريمة اعتقادين بارزين هما : فئة تقدسها وتتخذ منها وسيلة للتقرب الى الله سبحانه بوصفها جنساً

ولأن ديوان حافظ شيرازي زاخر باستعماله هذا النوع من الاجناس وما عمله من دلالات شعرية تعكس النظرة المعنوية والمادية للشاعر بصورة خاصة و للمجتمع الذي عاصره الشاعر بصورة عامة . ولغرض الابتعاد عن الاطالة في موضوع البحث ولكثرة استعمال الشاعر لتوصيف الأحجار الكريمة وجماليتها ، ارتأيت أن اذكر ما ورد في ديوان الشاعر من الأحجار الكريمة وكيفية

استعمالها في غزلياته . وبذلك يتحقق اهم عنصر يتطلبه البحث في مجال النقد الادبي الحديث .

نبذة عن الاحجار الكريمة

تتكون ألأحجار الكريمة بصورة طبيعية من دون تدخل الانسان في صناعتها ، وتختلف من نوع لأخر ، ويمتلك كل حجر منها خواص فيزيائية وكيميائية مختلفة بحسب تكوينها في أماكن مختلفة في باطن الارض وأعماق البحار مثل المرجان واللؤلؤ أو في المناطق البركانية والأنهار البركانية مثل الياقوت والزمرد والألماس. وقد استعملت الاحجار الكريمة لإغراض الزينة والعبادة ولها مكانه دينية متميزة ، وقد اهتمت بها أكثر الشعوب باعتبارها وسيلة لممارسة بعض الطقوس والشعائر الدينية. اما اكتشاف الاحجار الكريمة فليس محدد بتاريخ معين فالأحجار الكريمة كانت قد اسرت عقل الانسان منذ ألإلف السنين قبل الميلاد وقد ذكرت في الأساطير القديمة لدى الرومان واليونان وكان القدماء ينظرون اليها على أنها شيٌ مقدس فيه قوة خارقة ، وهنا يكمن في كل حجر خواص تختلف عن الحجر الأخر ولكل حجر أسطورته الخاصة به فمثلا الماس يرمز للقوة وعدم القهر لصلابته ونقائه ، وقسم منها مثل الياقوت والعقيق ترمز للحب والكمال والمصالحة والثقة والحكمة والصبر والثبات . وكذلك تُعد الأحجار الكريمة بحسب نظرة قسم من الديانات السماوية وسيلة لغرض العلاج من الامراض النفسية والجسمانية ومنها أمراض المفاصل وآلام الظهر وضعف البصر والكآبة وغيرها.

والأحجار الكريمة لها مكانتها الدينية المرموقة لدى المسلمين وحظيت بالتقديس لكونها ظاهرة ومعجزة كونية اذ تعلقت بها اذهانُ كثير من المسلمين تعلقاً روحياً

وخصوصا بعد ذكرها في سور من القران الكريم ولاسيما ان القران كقوله سبحانه وتعالى ((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)) سورة الرحمن الاية (٢٢) و ((كأنهن الياقوت والمرجان)) سورة الرحمن (٥٨) و ((كأمثال اللؤلؤ المكنون)) سورة الواقعة الاية (٢٣) وهنا دلالة واضحة على اهمية الاحجار الكريمة ولجمالها وقيمتها التي تستوجب اهتمام الانسان بها .

وقد سلك الشعراء طرقاً متعددة للتعبير عن مشاعرهم و أحاسيسهم وكان جمال الأحجار الكريمة ونقائه من تلك الطرق ، اذ ذكر كثيرٌ من الشعراء الأحجار الكريمة وهم يعبرون بوصفها واقترانها بالمعشوق بطريقة رمزية ، ومحور هذه

الرمزية هو الجمال والصفاء للمعشوق ومدى تشابه جماله وحسن صفاته بهذا الاحجار . وقد استحوذت المكانة الدينية لتلك الاحجار على جانب مهم من قصائد الشعراء. وكان للشعراء الفرس النصيب الاوفر من هذا الجانب ، اذ نلاحظ عدم غفلة شعراء ايران عن ذكر تلك الأحجار بوصفها اداة للتشبيه سواء للمعشوق او للممدوح او المكانة الدينية بين العبد وربه .

فالشاعر جامي من الشعراء الايرانيين المعروفين يصف شفاه المحبوب بالياقوت لحمرتها ونصاعة لونها فيقول :

قد طاب خط ياقوت شفاهه
ونسج من المسك شعار قمر وجهه
(محمد غنيمي هلال : ص ٣٢)

ولم يقتصر ذكر الاحجار الكريمة في الشعر الفارسي على جمال المحبوب وحسنه بل اقترن ذكرها بالقيمة والسمو واتخذ بعض الشعراء منها رمزا للجاه كما يقول فردوسي :

اگر نيكويى بينم اندر سرش
ز ياقوت و زر آورم افسرش
(ابو القاسم فردوسى بقلم عزيز اله جوينى ، ١٣٨٤ ه ص ١٥٥)

(اني اعتقد أن الفكرة الحسنة هي أساس النجاح وسوف أجلب له ذلك التاج المزين بالياقوت والذهب ولا أكون نادما عندما أقدم له الجوهر والكنز).

وقسم بعضهم الناس على صنفين بحسب وفائهم وصدقهم وأصبح الوفاء والصدق في نظرهم كالمرآة الداخلية التي تعكس ما بداخل الانسان فالجيد هو كالجوهر الثمين والردى هو كالصخر الذي لا قيمة له كما يصفه سعدي شيرازي :

گر سنگ همه لعل بدخشان بودى پس
قيمت لعل وسنگ يكسان بودى (سعدى شيرازى : نسخه محمد على فروغى ، ١٣٨٧ ص ٢٧٤)

(اذا كان كل حجر عقيقاً مشعاً فحجر العقيق يكون مساويا للصخر)

وقد ذكر الشعراء الخاره أيضا (وهو نوع من الصخور والأحجار الصلبة) للدلالة على الصفات التي تحملها تلك الأحجار فبعضهم يشير بذلك الى الجمود والركود حيث تجسد لنا جمود العاطفة والمشاعر لدى الانسان فمولانا جلال الدين الرومي يظهر اهتمامه الخاص بالأحجار الكريمة في شعره اذ يعتقد أن الانسان يستطيع أن يصل الى مرحلة الكمال كما هو الحال في الحجر الكريم . (فاطمة

كلاهجيان و سيدة ناديا حيدري نيا ، ١٣٩١ص ٣٨٢)

ان أكثر الأشعار الفارسية التي تطرقت الى الأحجار الكريمة ، اعطت لها ميزات الجمال والشاعرية والقيم والرفعة، وقد أنماز ديوان غزليات حافظ شيرازي بذكر تلك الأحجار وصورها بأشكال متعددة ومبيناً تشابه صفاتها مع صفات المعشوق. وقد عمد الباحث على بيان جميع أنواع الأحجار الكريمة المذكورة في ديوان الشاعر، بعد تقديمه نبذة عن الشاعر وديوانه.

نبذة عن حياة حافظ شيرازي وديوانه الشعري

هو شمس الدين محمد حافظ ، من أشهر منشدي الغزل العرفاني في ايران ، ولد في القرن الثامن الهجري في مدينة شيراز ، وما وصل الينا من تراثه الادبي إلا شي قليل تجسد في ديوان غزلياته ، وما نقل من مقدمة للديوان بقلم محمد گلندام وتُعد قطرة من بحر من أسرار هذا الأثر العظيم .كان حافظ شيرازي قد دأب على حضور مجالس الأدب بشقيها الفارسي والعربي وكذلك مجالس القران الكريم والحكمة والمواعظ الاسلامية ، وكانت ثمرة تلك المجالس هو انه حفظ القران الكريم وترجمه وسمى حافظا نتيجة لذلك.(د. خليل خطيب رهبر ، ١٣٨٧ شمسى ص ٢٥-٢٦)

أما أبوه فهو بهاء الدين ، وأمه من مدينة كازرون ، وكانا قد سكنا مدينة شيراز ، وعشق الشاعر هذه المدينة عشقا جما لدرجة انه لم يستطع الابتعاد عنها للحظة ، ويقطع سفره اذا ما ساقه السفر بعيداً عنها ويعود اليها بلهفة وشوق . وقد دفن فيها حيث مثواه الاخير في مقبرة الحافظية في شيراز .(المصدر نفسه ، ص ٢٨)

تعد غزليات حافظ من أروع أشعاره لما فيها من افكار عرفانية تجسدت في حسن التأليف والاهتمام بإسرار الفصاحة والبلاغة والحس العرفاني الذي اشتهر به الشاعر في عصره ، و قد استعمل الشاعر الاسلوب العراقي خير استعمال وقد ازدحمت غزلياته بالفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة والإيهام والإبهام ...الخ . تطرق الشاعر في ديوانه لموضوعين مهمين هما ظاهر الانسان وباطنه ، اذ حارب التقاليد والخرافات ووصل الى مرحلة من الصفاء ، أما الموضوع الآخر الذي اهتم به الشاعر كثيرا فهو العشق والتغزل بالمعشوق حيث ينبع كلام الشاعر من صميم قلبه ويستقر في القلوب ، وأفرط كثيرا بوصفه الدقيق للخمر والمعشوق .

وقد عبر ديوان حافظ عن الخمر و وصف المعشوق بصفتهما أهم المضامين الأصلية في الشعر الفارسي ، علما أن هذه المضامين متجذرة منذ عصور قديمة ومنذ ظهور الشعر الفارسي . (دكتور محمد رضا نصر اصفهاني – علي سينا رخشنده مند ، ١٣٨٨ ص ٨٨-٦٧)

وتعد صناعة البديع من أهم الفنون البلاغية التي تضمنها هذا الديوان ولا يمكن معرفة هذه الصناعة من دون الدراسة الدقيقة والتمحيص في المضامين البديعية وإلا فسوف يكون فهمها عقيما وعسيرا على القراء العاديين. (دكتور سيد جواد مرتضايي، ١٣٨٢ ص١٢٤)

انواع الاحجار الكريمة ودلالاتها الشعرية في ديوان حافظ شيرازي

١_ حجر اللعل (لعل) وهو (شبيه بحجر العقيق)

وهو أحد أنواع الأحجار الكريمة ويمتاز بالصلابة والبريق ، لونه أحمر فاتح ويكون على أشكال متعددة ، ويستخدم للزينة . وقد ورد ذكره للكناية على الشفاه الجميلة للمعشوق ، وأشهر أنواعه حجر اللعلي والرماني ، ويكون لونه أحمر فاتح ، وأما الرماني فيكون لونه كلون حبات الرمان ، وهناك أنواع أخرى من حجر اللعل منها حجر لعل العقرب و حجر لعل العنب وغيرها . (دكتور محمد معين ، سنة ١٣٨٨ شمسي ، ص ١٢١٠)

ذكر الشاعر حافظ شيرازي هذا الحجر بصور متعددة في غزلياته وفي مضامين شعرية يختلف بعضها عن الآخر ويمكن ملاحظة استعماله وصف هذا الحجر للدلالة على أمور عديدة مرتبطة بالاحساس لدى الشاعر وبالمعتقدات السائدة في المجتمع ، ومن هذه الصور تشبيه لون هذا الحجر بلون الخمر أحيانا وبشفاه المعشوق أحيانا أخرى . اما الصورة الأبرز هي استعمال الشاعر هذا الحجر للدلالة على العامل الديني وتأثيره على المجتمع ، اذ كان اعتقاد الناس أن هذا الحجر هو الحارس الذي يحمي من يستعمله من سطوة الشيطان والجن فيقول الشاعر :

سزد كز خاتم لعلش زنم لاف سليمانى
چو اسم اعظم باشد چه باک از اهرمن دارم (حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ٣٤١)

((ان خاتم سليمان الذي يحتوي على حجر اللعل والذي يشبه شفاه المحبوب ومنقوش عليه اسم الله يحميني من أسطورة الشيطان)) (د خليل رهبر ١٣٨٧ شمسي ص ٤٤٣) . وهنا يبين لنا الشاعر

الاعتقادات الدينية التي يعيشها المجتمع ومدى التصديق بها وجعلها وسيلة لحمايتهم . وفي بيت آخر يقول الشاعر :

محتسب نمى داند اينقدر كه صوفى را
جنس خانگى باشد همچو لعل رمانى
با دعاى شبخيزان اي شكر دهان مستيز
در پناه يک اسم است خاتم سليمانى
(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧شمسي ص ٤٨٧)

(لاتغضب ايها المعشوق من دعاء المتهجدين فهو لحفظ جمالك وحسنك بجاه ذلك الاسم الاعظم المنقوش على حجر اللعل في خاتم سليمان) وهنا يشبه الشاعر شفاه المعشوق باللعل الرماني (د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٦٤٦)) .

أما الموضع الآخر للدلالة الشعرية لهذا الحجر هو تشبيهه بالخمر وشفاه المحبوب وهنا يجب الاشارة الى أن أكثر النقاد والباحثين اختلفوا فيما بينهم فمنهم من يعتقد أن حافظ شيرازي هو شاعر خمر ونساء ، ويعتقد البعض الآخر أنه شاعر عرفان ، وأن الغزل الموجود في أشعاره لا سيما توصيفه بالخمر والمعشوق ما هو الا غزل في ذات الله وكنهه سبحان وتعالى .

استعمل الشاعر هذا الحجر للدلالة على الغزل مستقلة والتشبيه الصريح على شفاه المعشوق ، لاكتمال هذه الصورة الشعرية المتكونة من جمال اللون الأحمر وتأثيره على العواطف والمشاعر وجمال شفاه المعشوقة وحمرتها يقول الشاعر :

خدا را اى رقيب امشب زمانى ديده بر هم نه
كه من با لعل خاموشش نهانى صد سخن دارم
(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ٣٤١)

(آيها الحارس غض الطرف عني لحظة في هذه الليلة فلديَ كلامٌ كثيرٌ لكي أناجي به شفاه المعشوق التي تشبه اللعل الأحمر)) واللعل هنا استعارة صريحة يراد بها شفاه المحبوب لشدة حمرتها حال السكوت . (د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٤٤٣)) ويقول :

لطيفه اي است نهان كه عشق ازو خيزد
كه نام ان نه (لب لعل) وخط زنگارى است (حافظ شيرازي ١٣٨٧ ص ٧٩)

بشكل عام يظهر شعر حافظ في البيت السابق الاشتياق وهو يمر بمراحله ورغباته الداخلية لطالما نلاحظ التغزل بالجمال من خلال وصف الوجه

الجميل ، و يبين لنا الشاعر فى البيت السابق (شفاه المعشوق) مرحله صراع المشاعر وصعود العشق حتى يصل الى مرحلة السمو . (د محمد رضا اميني . ربيع ١٣٨٩ ص٢٥) . وكذلك استخدم الشاعر وصف هذا الحجر للدلالة على الوجد والحالة الانفعالية والوجدانية التي يمر بها الشاعر نتيجة العشق وعدم الوصال مع المحبوب فيعتقد ان دموعه التي تشبه قطرات الدم هي مثل تلك الاحجار اللعلية الحمراء التي هي صورة لشفاه المعشوق فيقول :

اگر برنگ عقیقی شد اشک من چه عجب كه مهر خاتم لعل تو هست همچو عقیق (حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص٣١٢)

(لا تتعجب اذا أصبحت دموعي كلون العقيق فان شفاهك الحمراء الصغيرة (خاتم لعل) هي مثل العقيق إذا ما قورنت بدموع عيني) (د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٤٠٥) . ومما ورد النص السابق نستنتج أن أكثر الغزليات التي ورد ذكر حجر اللعل فيها قد عكست حالة العرفان والصفاء الروحي للشاعر وقد اقترنت بذكر شفاه المعشوق بوصفها مرآةُ لجمال صاحبها ، وهنا تكتمل الدلالة الشعرية لهذا الحجر الكريم بين محورين اساسيين هما التوصيف لجمال المحبوب وتوصيف الخمرة(بغض النظر سواء أكان توصيفاً عرفانياً أم توصيفاً مادياً - دنيوياً) وبين العامل الديني الذي يحصن الانسان من الشياطين والجن .

٢ _ الفيروز (فيروز)

يُعد حجر الفيروز من الأحجار الكريمة الشهيرة ، وقد اقترن ذكرها بسيرة الملوك والأمراء ، وذكر كثير من الشعراء الايرانيين هذا الحجر في اشعارهم للدلالة على الجاه والملك كما يقول أبو القاسم الفردوسي في الشاهنامة :

ز پیروزه تخت وزبیجاده تاج
سر تاج زر پایه تخت عاج
(ابو القاسم الفردوسي ، ١٣٨٢ ص ١١٥)

((كان قد آرسل الى سهراب عرشا مزينا بأحجار الفيروز قواعده من العاج وتاجه مرصع بالياقوت ...))

الفيروز هو حجُر كريمٌ متعدد الالوان ، ومن اشهرها اللون الأزرق ، ويكثر هذا الحجر في ايران في مدينة نيشابور ويُعد من أجود أنواع الفيروز وقد ذكره الشاعر حافظ شيرازي في غزلياته اذ اشار

الى خاتم أبو اسحاق الذي كان مرصعاً بحجر الفيروز ، وهنا يحتمل ذكر الفيروز في غزليات الشاعر معنيين : الأول هو الاشارة الصريحة الى الممدوح (ابي اسحاق) المشهور . والمعنى الاخر هو وصف حجر الفيروز بعينه بأنه حجر ذو لون يسر الناظرين وذو قيمة وجاه (محمد معين ، ص ٩٤٤) اذ يقول الشاعر في بيته المشهور بهذا الصدد :

راستي خاتم فيروزه بواسحاق
خوش درخشيد ولى دولت مستعجل بود
(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ٢٢١)

(ان هذه هي الحقيقة خاتم فيروز ابو اسحاق فيه الحسن والنور ولكن يزول الملك بسرعة) . وفيروز ابو اسحاق هو الفيروز المرصع في الخاتم الذي ينتشر في مدينة نيشابور وأراد الشاعر هنا الايهام ، والمراد به هو الفيروز الموجود في خاتم الشيخ ابي اسحاق وهو دلالة شعرية على المحبة والفضل . ((د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٢٨٢)) وهنا يؤكد الشاعر بأنه مهما كانت السلطة والملك ذات فضل وجاه فلابد أن تزول في يوم من الايام .

٣ _ اللؤلؤ والمرجان (مروارید و المرجان)

وهما من الاحجار الكريمة الثمينة ويستعملان في صناعة الجواهر ، لونهما براق ويمتاز بالصلابة ويوجد هذا النوع في اعماق البحار داخل المحار يكون ذا ألوان عديدة منها الابيض والأسود والأصفر . ويكون افضلها اللون الابيض حيث ينتشر في الخليج العربي ، أما الأسود فينتشر في خليج المكسيك والأصفر في الساحل الاسترالي وله أسماء أخرى مثل دموع الملائكة و قطرات الدموع . (محمد معين ، ص ١٣٣٦) .

ذكر الشاعر حافظ شيرازي هذا الحجر الكريم في ديوانه و مشيراً به الى الأسلوب البلاغي والتنظيمي لشعره ،وكذلك شبهه بالدر المنظوم وهذا التشبيه ورد كثيرا في الآثار المكتوبة باللغة العربية اذ شبه العرب الكلام المحكم بالدر المنظوم .

يقول حافظ شيرازي:

زشوق روى تو حافظ نوشت حرفى چند بخوان زنظمش ودر گوش كن چو مروارید (حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص٢٥٢)

(يا حافظ لقد كتبت كثيراً من الاشعار على امل اللقاء به (المعشوق) فإقراء من الشعر وعلق

أحجار اللؤلؤ لأجل الترحيب به) .((د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٣٢٢)) وتحتمل كلمة اللؤلؤ (المرواريد) هنا أكثر من معنى الأول : هو تعليق القيراط المرصع باللؤلؤ لأجل استقبال القادم ، والمعنى الآخر هو : يا حافظ ان كلامك وشعرك بليغ ومنظم وهو كالدر واللؤلؤ المنظوم. وفي كلتا الحالتين نستدل على أن الشاعر أراد من ذكر اللؤلؤ للاستدلال على بيان قوة التنظيم الشعري ، و الرصانة والمقام السامي لشعره.

وفي بيت اخر يقول الشاعر :

گوهر پاگ بباید که شود قابل فیض ور نه هر سنگ وگلی لؤلؤ ومرجان شود (حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص٢٤١)

(ان الجوهر الطاهر يجب ان يكون ذا فائدة ويعرف اللطف اللهي واذا لم يكن كذلك فان كل حجر وصخر سيكون لؤلؤاً ومرجاناً)). وهنا يبين الشاعر أن كل شي من فعل وقول يجب أن يكوناً ذا قيمة وقبول لدى الناس ، وأن يشبهه باللؤلؤ والمرجان ، فإذا ما كان الشيء المراد قوله وفعله أقل شأنا فانه يكون بلا فائدة ، فهو كالحجر العادي لا يمكن أن يكون في يوم من الأيام لؤلؤا أو مرجانا .

٤_ الياقوت

هو احد أنواع الاحجار الكريمة الأكثر صلابة بعد حجر الماس . ينتشرُ هذا الحجر على أطراف الحمم البركانية ، وله ألوان اشهرها الازرق و الاحمر والرماني والأصفر أو ما يسمى بالزبرجد . (محمد معين ١٣٨٨ شمسي ، ص ١٦٧٦) ولأن حجر الياقوت يمتاز بجمال لونه ونقاءه فقد استعمله الشعراء الايرانيون في الشعر الفارسي للكناية عن شفاه المحبوب وللدلالة على الجاه والملك والسمو . و ذكر كثير من منهم هذا الحجر في أشعارهم حيث يقول الشاعر أبو القاسم الفردوسي في الشاهنامة :

سه یاقوت درخشان وسه مهره زر کز ایران فرستاده بودش پدر

(ابو القاسم فردوسى ١٣٨٢ شمسي ص ١٠٨) . (ارسل رستم من ايران رساله الى ابنه سهراب فيها ثلاثة احجار من الياقوت وثلاث قطع من الذهب) . كذلك استعمل الشاعر حافظ شيرازي هذا الحجر في شعره للدلالة على وصف جمال المعشوق ولاسيما شفاهه التي تشبه الياقوت الأحمر ، لجمالها و شدة حمرتها ولهذا الحجر دلالة أخرى هي علاج القلوب الضعيفة ، ويجب الاشارة الى أن كثيرا من القدماء كانوا يعتقدون أن بعض الاحجار الكريمة هي

العلاج المناسب لبعض الامراض . وكان العامل الديني حاضرا بقوة في هذا المجال ، اذ ان معظم الاديان السماوية تعتقد صحة جدوى الاستعانة بالأحجار الكريمة لغرض العلاج أو طرد الشياطين والأرواح الشريرة ، وقد جمع الشاعر هذه الدلالات في هذا البيت الشعري :

علاج ضعف دل ما به لب حوالت كن كه اين مفرح ياقوت در خزانه توست (حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧شمسي ص ٤٨)

(ان علاج قلبي الضعيف لا يكون نافعا حتى وان احتوى على الياقوت لأن علاجي موجود في طيات شفاهك) وبيَن لنا الشاعر أن الياقوت هو جزء من تركيب علاجي كان يستخدم في الطب قديما . (د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٥١) .

ياد باد ان كه چو ياقوت قدح خنده زدى در ميان من ولعل تو حكايت هاى بود (حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ شمسي ص ٢١٨)

(انظر لكاس الشراب وتذكر حجر الياقوت فطالما كانت حكايتي مع شفاهك)

والياقوت هو استعارة مراد بها الخمرة الحمراء لشدة حمرتها وقتمة لونها الاحمر . (د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٢٧٨) نستنتج من هذا أن الشاعر استعمل في هذا البيت الشعري مفردة الياقوت للاستعارة والتشبيه صريح عن أمرين : اولهما شفاه المحبوب التي امتازت بحمرتها وجمال لونها الرماني ، والأمر الاخر : هو الشراب عندما يسكب في الكاس فيتولد اللون الاحمر كانه الياقوت الاحمر .

٥ – العقيق

هو احد الاحجار الكريمة المعروفة ذو الوان متعددة في الطبيعة وعادةً ما يكون لونه أحمر ويستخدم للزينة ومن انواعه « دلربا » و العقيق السحري والعقيق الاسود وعين البلبل ، ويمتاز العقيق بالصلابة ، لذلك استعمله الانسان في وسائل المعارك كالسهام ، واشهر انواع هو العقيق اليماني ذو اللون الاحمر حيث ينتشر في اليمن .(محمد معين ص ٨٥٠ – ٨٥١)

ورد ذكر حجر العقيق في ديوان حافظ شيرازي بكثرة وكانت الدلالة الشعرية لهذا الحجر تختلف من قصيدة الى أخرى من الغرض نفسه وبحسب وصف الشاعر وكيفية عرضه لموضوع القصيدة الغزلية ،

فأحيانا تكون الدلالة الشعرية ذات فحوى ديني بحت كما يقول :

سنگ وگل را كند از يمن نظر لعل وعقيق هر كه قدر نفس باد يماني دانست

(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ٦٢)

هذا البيت يحمل معنيين : الاول (ان كل شخص يعرف قدر نفسه و ذو قيمة ومكانه في المجتمع فان عينيه يريان الحجر والصخر ، عقيقا ...)) والمعنى الثاني : (هو دلالة ضمنية على مدح الصحابي اويس القرني وأهل اليمن) . و يشير الى بلاد اليمن التي تنتشر بها أحجار العقيق ." وهذا تلميح لكلام الرسول (ص) اذ قال :اني أشم رائحة الايمان من قبل اليمن". ((د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٤٨)). والشاهد هنا هو أن الشاعر استدل بالعقيق على المكانة والجاه والقدر الذي يحظى بها الناس ذوو الشأن . وأحيانا أخرى تكون الدلالة الشعرية لحجر العقيق هي لوصف جمال شفاه المعشوق وهذا ما ورد ذكره كثيرا في غزليات حافظ:

از ان عقيقى كه خونين دلم ز عشوه او اگر كنم گله اى غم گسار مى باشى

(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ٤٧١)

(ان قلبى دامٍ بسبب العتاب والشكوى من تلك الشفاه العقيقية ولعلها تشعر بألمي وحزني) والعقيق هنا استعارة صريحة عن شفاه المحبوب . (د خليل رهبر ١٣٨٧ ص ٦٢٣). وبهذا التوصيف الدقيق استعمل الشاعر العقيق بصورة خاصة والأحجار الكريمة « حمراء اللون » كدلالة صريحة ومباشرة للتغزل بشفاه المحبوب والتودد لها . وبالنتيجة يمكن القول ان حجر العقيق يدل على ثلاثة امور مهمة في ديوان حافظ اولها وأهمها هو وصف المعشوق وجمال وجهه وشفاهه ، وتشبيه هذا الحجر بالخمر ، فضلا عن العامل الديني الذي يدل على قدسية العقيق ومكانته الدينية ومدى اعتقاد الناس بهذا الحجر والأيمان به .

٦ – حجر السليمان

حجر السليمانى من انواع الاحجار الكريمة ذات القدسية الدينية وله الوان متعددة وقد سمي بهذا الاسم لان اسطورته تعود لنبي الله سليمان عليه السلام .وقد اختص هذا الحجر باستخدامه في الخواتم ولاسيما التي تستخدم اثناء الدعاء والصلاة وغيرها من العبادات الدينية .

ذكر الشاعر حافظ شيرازي حجر السليمان في غزلياته وله دلالات مختلفة ارتبطت بحسب الموصوف او الممدوح فقال في احد ابياته الشعرية:

دهـان تنـگ شـيرينش مگـر ملـک سليمانسـت
کـه نقـش خـاتم لعلـش جهـان زيـر نگـين دارد
(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ١٣٥)

(ان فمک الجميل ايها المعشوق يشبه خاتم سليمان فأن النقوش والكتابه عليه هى التى تسخر العالم) . وهنا تشبيه صريح للموصوف (المعشوق) بان شفاهه هي كخاتم سليمان وفي هذا الخاتم فص من الاحجار الكريمة والذي هو سبب سعادة وسطوة الملك او النبي سليمان ع.

گـــــر انگشـــــت ســـــليمانى نباشـــــد
چـــه خاصـــيت دهـــد نقـــش نگينـــى
(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ٤٩٧)

(لا قيمة للحجر الكريم اذا لم يكن موجودا في خاتم أو اصبع النبي سليمان) لأن هذا الخاتم قد سخر الجن والانس وبفضله أصبح الجميع تحت امرة النبي سليمان . وهنا يبين لنا الشاعر العلاقة الوثيقة بين الحجر الكريم وبين الخاتم وكلا العنصرين يكمل الآخر وكأن حافظ شيرازي أراد أن يظهر لنا العامل الديني ومدى تأثيره على المجتمع آنذاك .

من ان نگين سليمان به هيچ نستانم كه گاه گاه بر او دست اهرمن باشد (حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ ص ١٧٤)

وبيان معنى هذا البيت قوله : (آنا لا أعير الحجر الكريم فى خاتم سليمان أى اهتمام مطلقا لأن الجن استطاع ان يصل اليه ولأن سليمان مشهور بأن لديه خاتم النكين وكتب عليه الاسم الأعظم وبفضل ذلك استطاع أن يحكم الانس والجان ولكن بسبب الغفلة سقط هذا الخاتم بيد الشيطان أو الجن وادعى هذا الجن أنه سليمان وحكم نتيجة هذا الادعاء).(د خليل رهبر ١٣٨٧ ص٢١٧) ويتناقض المعنى الكلي لهذا البيت مع ما سبقه لأن الشاعر يعتقد أن خاتم النبي فقد قدسيته نتيجه لسطوة الجن والشيطان ونستخلص هنا بأن الشاعر لم ينتقد النبي او قدسيته بل هو ينتقد الخرافة الدينية التي تسيطر على عقول الناس وضعفهم أمام الشياطين والنفس الأمارة بالسوء وبصورة عامة خلصنا من هذه الأبيات الشعرية بأن الشاعر استخدم فص الحجر الكريم في خاتم النبي سليمان أو حجر السليمان المنسوب للنبي

(ع) للدلالة الدينية وتأثير العامل الديني على المجتمع ولاسيما بعض الخرافات التي انتقدها الشاعر في كثير من أبياته الشعرية .

٧ _ الدر

هو احد أنواع الاحجار الكريمة النادرة والغالية الثمن . واشهر انواعه موجود في العراق في مدينة النجف الاشرف حيث يمتاز بنصاعة لونه الأبيض .وقد ذكر هذا الحجر في كثير من الاشعار الفارسية والعربية وكانت له دلالات كثيرة ابرزها النقاء والصفاء والصلابة والحسن والجمال وغيرها من الصفات الحسنة . قال الشاعر نظامي گنجوى :

سر زلفى زناز ودلبرى پر لب و دندان از ياقوت واز در از آن ياقوت وان در شكر خند مفرح ساخته سودائيى چند

(نظامى گنجوى : تصحيح دكتر برات زنجانى ، ١٣٧٦ شمسي ص ٥٠)

والمضمون الشعري للبيتين اعلاه هو : (ان خصلات شعرك ايها المعشوق هي مثار لقلب العاشق فسنك كالدر وشفاهك كالياقوت ..) وهنا يستخدم الشاعر الدر والياقوت للدلالة على جمال المعشوق فالدر يشير الى بياض اسنان المعشوق وهي رمز للصفاء والنقاء والياقوت يشير الى الشفاه الحمراء التي تبعث الاحساس والمشاعر في قلب العاشق .

قال حافظ في احد غزلياته :

غزل گفتى ودر سفتى بيا وخوش بخوان حافظ كه بر نظم تو افشاند فلک عقد ثريا را

(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ شمسي ص١٧)

(لقد انشدت الغزل ونظمت الشعر كالدر يا حافظ ، فتعال وأقرأ فأن الفلك نثر على نظمك عقد الثريا) وهنا يشبه الشاعر اشعاره الموزونة بأحجار الدر لصلابتها وتماسكها لغويا وفنيا ويعتقد أن نظم الشعر هو صورة للدر المنثور ، وهنا يستعين الشاعر بآية من القران الكريم التي شبه الله تعالى به الولدان المخلدين بالدر المنثور .

وقال الشاعر في غزلية اخرى:

زمانى خوش دلى درياب ودرياب كه دايم در صدف گوهر نباشد

(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ شمسي ص١٧٦)

(اغتنم الفرصة يا حافظ فلا يكون دائما كل ما يحتويه الصدف درا وجوهرا)

وهنا يظهر جليا أسلوب الشاعر حافظ في الصناعة البديعية باستخدام أسلوب التبادر الى الذهن حيث ذكر كلمة " درياب " أول مرة وتعني البحر ثم أردف بعدها " درياب " وتعني حجر الدر كما في البيت أعلاه. (دكتور سيد جواد مرتضايي ٨٢ ١٣ص ١٤٢)

ومن هنا بيَن لنا الشاعر الندرة والقيمة المعنوية لاستثمار الفرص واختيار الوقت المناسب لها لأن الفرصة كالجوهر نادر الحصول ، تأتي في وقت يكون الانسان احوج اليها من الاوقات الاخرى فربما تأتي في وقت اخر لا تعود به بالنفع على الآخرين.

قال الشاعر في بيت اخر :

از جرعه تو خاک زمين در ولعل يافت پيجاره
مـــا كـــه پـــيش تـــو از خـــاک كمتـــريم
(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ شمسي ص ٣٨٦)

(ان رشفةً من كأسك تجعل تراب الارض أحجارا كريمة عقيقاً و درا ونبقى عاجزين عندما نكون في حضرتك ونكون اقل شأنا من التراب) . وهنا يعود الشاعر لاستخدام حجر الدر وسيلة لتوصيف الممدوح وبيان قدره وسمو منزلته .

٨ _ الزمرد

هو أحد أنواع الأحجار الكريمة ذو لونٍ أخضر وكلما كان لونه أخضراً غامقاً كان اكثر ثمنٍ . ومن اهم مميزاته كما كان يعتقد القدماء انه يصيب عيون الأفاعى بالعمى . (محمد معين سنة ١٣٨٨ ص ٦١٩) . وقد ورد ذكر هذا النوع من الأحجار في كثيرٍ من الاشعار الفارسية وله دلالات شعرية ومعنوية كثيرة منها : الكرم والعطاء والجاه والجود والجمال وغيرها فيقول الشاعر مولوي :

هـــر خـــاك كـــه در دســـت گرفتـــى همـــه زر شـــد
شـــد لعـــل وزمـــرد ز تـــو ســـنگى كـــه گذيـــدى
(مولوى ، غزل رقم ٢٦٢٦)

(أي قبضة من التراب تمسكها بيدك تصبح ذهبا واي حجر تختاره يصبح لعل وزمرد) وهنا يبين لنا الشاعر المكانة المرموقة والجاه العظيم الذي يرمز له هذا الحجر الكريم حيث يصبح الحجر العادي ذا جاهٍ وقيمة عندما يمسكه الملك ويتحول الى حجر الزمرد الذي هو قمة في العلو و الجمال .

وقد ذكر حافظ شيرازي الزمرد في ديوان غزليات للدلالة على التشبيه الصريح فيقول :

تخـــت زمـــرد زده اســـت گـــل بـــه چمـــن
راح چـــــون لعـــــل اتشـــــين در يـــــاب
(حافظ شيرازي ،مقدمة مسعود مهدي خان ١٣٨٧ شمسي ص ٢٧)

(ها هي الورود في البستان اصبحت كعرشٍ مزينٍ بالزمرد ، وكاس الشراب احمر ...) (وتخت زمرد) تعني الكرسي المرصع بالزمرد ويرمز للجاه والعظمة وكذلك هو الكرسي الذي يرمز للسلطة والملك والذي غالبا ما يكون مرصعاً بالأحجار الكريمة ومنها الزمرد ، لكن الشاعر لم يذكر الزمرد في البيت الشعري كحجر موجود بل استعمل اسلوب الاستعارة فقط حيث انه استخدم اللون الاخضر وهو لون الزمرد كدلالة على الخضرة التي أكست البستان من جانب وكرمز للسلطة والملك والعظمة من جانب اخر .

النتيجة:

يستنتج الباحث ان الأحجار الكريمة لها دلالات شعرية متعددة في ديوان حافظ شيرازي ؛ اذ أن الشاعر كرّس قصائده في ذكر جمال الأحجار الكريم ليرسم لنا صورة شعرية غزلية جميلة عن الموصوف أو الممدوح سواء أكان معشوقا أم ممدوحا ، ونستدل من ذلك أنَّ الشاعر قد استعمل معظم الفاظ الأحجار الكريمة في غزلياته للدلالة على وصف البيئة الاجتماعية والدينية التي كان يعيش بها ، ولما لها من ارتباط مباشر بالموصوف سواءً أكان شخصا أم مجتمعا أم معبودا. وقد تعددت انواع الموصوف في شعره ، وكان من أهمها توصيف الارتباط الديني بين العبد وربه ، وتأثير الأحجار الكريمة على العبد بوصفها وسيلة للتقرب الى الله تعالى ، وتوصيفه للشراب وشفاه المعشوق وجماله ، والسمو ، والرقي ، والملك ، والجاه ، والشجاعة ، والصلابة ، والطبيعة الخضراء ... وبين لنا الشاعر أن لكل حجر من الاحجار الكريمة دلالته ورمزيته الخاصة به ومغزاه الشعري . فالأحجار الكريمة في ديوان الشاعر هي عموما تدل على النقاء والجمال والصلابة والمكانة الاجتماعية والدينية والاقتصادية لمن يملكها . وقد احسن الشاعر كثيرا برسم لوحة فنية متكاملة تجمع بين طياتها حسن وجمال المعشوق او الممدوح وجمال الاحجار الكريمة ومن جانب اخر بين لنا تأثير الخرافة الدينية على المجتمع وسطوة (الجن والشياطين) على عوام الناس وتصديقهم وإيمانهم

بها والجانب الاخير هو الصورة العرفانية والمادية لشرب الخمر سواء كان سكرا في ذات الله سبحانه وتعالى أم بشكل مادي . اذ جعل الشاعر الشراب - الذي شبهه كثيرا بالأحجار ذات اللون الاحمر - علاجا للأوجاع وألم الفراق وأنيساً للوحدة الروحية التي كان يعيشها الشاعر .

المصادر

- ابو القاسم فردوسى بقلم عزيز اله جوينى قصه رستم واسفنديار نسخه لينگراد طباعه جامعه طهران الطبعه الثانيه ١٣٨٤ ص ١٥٥
- ابو القاسم فردوسى عزيز اله جوينى قصه رستم وسهراب طباعة جامعة طهران نسخة فلورانس الطبعة الاولى ١٣٨٢ ص١١٥
- خليل خطيب رهبر . ديوان حافظ شيرازي .الطبعة ٤٥ مطبعة صفي عليشاه ١٣٨٧ نبذة عن احوال حافظ ص ٢٥-
- سيد جواد مرتضايي – ظرافتهاي بديعي در شعر حافظ – نشرية دانشكده ادبيات وعلوم انساني – دانشكاه شهيد باهنر كرمان دوره جديد شماره ١٤پياپى ١١ زمستان ٨٢ ص١٢٤
- سعدى شيرازى : نسخه محمد على فروغى : تصحيح حسين سبحانى : طهران ١٣٨٧ طبع ماهابه ص ٢٧٤
- سيد جواد مرتضايي – ظرافتهاي بديعي در شعر حافظ – نشرية دانشكده ادبيات وعلوم انساني – دانشكاه شهيد باهنر كرمان دوره جديد شماره ١٤پياپى ١١ زمستان ٨٢ ص ١٤٢
- فاطمة كلاهجيان و سيدة ناديا حيدري نيا :فصلنامه تخصصي سبك شناسي نظم ونثر فارسي : شگردهاى خاص نمادپردازى با طبيعت در غزليات مولوى . سال پنجم . شماره دوم . تابستان ١٣٩١. شماره پياپى ١٦ ص ٣٨٢د.
- محمد غنيمي هلال : ليلى والمجنون مصر . القاهره طباعة دار نهضة مصر للطبع والنشر ص ٣٢

- محمد رضا اميني تحليل از شعر حافظ بر اساس اصول نقد ادبي ا.ريجاردز – مجله بوستان ادب دانشكاه شيراز .الدورة الثانية .العدد الاول . ربيع ١٣٨٩ ص٢٥
- مولوى – ديوان شمس غزلياات – طهران . انتشارات جامعة طهران .غزل شماره ٢٦٢٦
- دكتور محمد معين ، فرهنگ الطبعة الرابعة ، مطلعة ميلاد نور سنة ١٣٨٨ ، ص ١٢١٠
- نظامى گنجوى ، خسرو وشيرين نظامي گنجوى : تصحيح دكتر برات زنجانى ، الطبعة الاولى ، مطبعة انتشارات جامعة طهران سنة ١٣٧٦